[WOMAN IN ANCIENT ARABIC PROVERBS]

المرأة في الأمثال العربية القديمة

Mahmoud Talab Hasan Abdeldeen
mahmoudhasan431@gmail.com (Corresponding Author)
Department of Arabic Language and Culture
College of Foreign Language and Literature, National ChengChi University
No. 64, Sec. 2, Zhi Nan Rd., Wenshan District
Taipei City 11605 Taiwan

Abstract

This research attempts to shed light on the life of women, as portrayed by ancient Arabic proverbs and the environment where they lived. The proverbs, recorded in the *amthāl* works, represent the Arab lifestyle with the most accurate details.Various groups of society contributed to the production of proverbs, whereas they were narrated and transmitted by Arabs, Arabic proverbs present credible reflection of the living realities of Arabs. Given their evidentiality, this article explores the proverbs as a main source to bring to light the lives of women. The study shows the richness of proverbs as a source material for its documentation of details and underscores especially the usefulness of the largest encyclopedia of proverbs in Arabic literature, *Majma' al-Amthal* by al-Maydani. As al-Maydani reports the stories related to the proverbs — their originators and the occasions of their creation, his work can be seen as one of the important sources, through which the cultural, social and literary realities of the Arab society from different perspectives can be studied.This study concludes that proverbs were more accurate in portraying the living realities of women and the attitude of the society towards them more than poetry, because they are often free from the metaphorical images and artistic conventions found in poetry.

Keywords: *women, ancient Arabic proverbs, Majma' al-Amthal, al-Maydani*

ملخص البحث

هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على حياة المرأة في الأمثال العربية القديمة؛ لأنّ الأمثال سجّلت فسيفساء الحياة العربية، وأدقّ تفاصيلها اليوميّة، وهو ما يمكن ملاحظته عند الاطّلاع على الأمثال في الكتب التي روتها. فقد صدرت الأمثال عن فئات متنوعة من المجتمع، كما أنها رويت وتناقلها النّاس كما قيلت أوّل مرّة، مما وفّر لها مصداقية عالية في تمثيل وقائع الحياة العربية؛ فهي شواهد حيّة يمكن إخضاعها للدراسة والبحث، وقد كان هذا البحث حافزًا لهذا البحث لتتبّع واقع المرأة في ذلك المجتمع، والتنقيب في تلك الأمثال لرسم صورة نسبيّة لذلك الواقع ما أمكن. وقد لاحظ البحث وجود مادّة ثريّة من الأمثال سجّلت تلك التفاصيل ووثّقتها، وخصوصًا في أكبر موسوعة للأمثال القديمة في الأدب العربي وهو كتاب: مجمع الأمثال للميدانيّ، لأنّ الميداني وثق غالبًا قصة المثل وقائله والوقائع المتّصلة به، مما جعل هذا الكتاب كنزًا من الكنوز الثقافية والاجتماعيّة والأدبيّة. وبيّن البحث أنّ الأمثال وثّقت واقع المرأة من حيث أنشطتها اليومية، وثقافة المجتمع نحوها سلبًا وإيجابًا، كما سجلت بعض الظواهر التي عانت منها. ويبدو أن الأمثال كانت أكثر واقعية في تصوير حال المرأة من الشعر؛ لأنها تبتعد، في كثير من الأحوال، عن الصور المجازية، والأعراف الفنية الموجودة في الشعر .

كلمات مفتاحية: *المرأة؛ الأمثال العربية القديمة؛ مجمع الأمثال؛ الميداني*

Article Received: 17 January 2020 | *Article Reviewed:* 23 June 2020 | *Article Published:* 30 November 2020

المقدمة

توصف المرأة دائمًا بأنها نصف المجتمع، فهي جديرة بالاهتمام والدراسة في المجتمعات التي عاشت فيها؛ لأنّ ذلك يسهم في كشف الثقافة السائدة وطبيعة نظرة المجتمع إليها، ويساعد في فهم الظروف والظواهر التي أحاطت بها، ويوفّر ذلك أيضًا معلومات موضوعية، يمكن الاطمئنان إليها للمقارنة بين ظروف المرأة في العصور والمجتمعات المختلفة. وما من شك في أننا لا نملك اليوم الوسائل التي تمكّننا من دراسة الماضي، إلا من خلال ما تركه الإنسان في تلك الفترات البعيدة من إرث أدبي، شعرًا أو نثرًا، أو من خلال الآثار المادية الباقية من الحضارات الإنسانية السالفة، أو مما وثّقته الكتب السماوية عن الأمم والشعوب التي أرسل إليها المرسلون. إنّ الإرث الإنسانيّ الثمين من تلك الحضارات، سواء كان إنتاجًا أدبيًا، أو آثارًا ماديّة باقية، يعدّ شواهد حيّة، يمكن من خلالها دراسة الظواهر البشريّة في تلك المجتمعات، وتسليط الضوء على طبيعة الحياة التي عاشها الإنسان، والمؤثّرات التي أثّرت فيها.

وبالنّظر في الأدب العربي القديم، يظهر أنّ المرأة العربيّة كانت موضوعًا مهمّا له، فالأدب انعكاس لواقع المجتمع وثقافته، ويبدو أنّ المرأة نالت حضورًا بارزًا في الشعر أكثر من الفنون الأدبية الأخرى؛ لأنّ الشعر حاز على اهتمام المجتمعات العربية، وسُجّلت فيه مآثر العرب وعاداتهم، ولكن ما يجب أن لا يغيب عن الأذهان أيضًا، أنّ الأمثال القديمة خلاصة تجارب المجتمعات العربية، وللمرأة فيها حضور. وهي مرآة صافية لحياتها، انعكست عليها عاداتها وتقاليدها، وسلوك أفرادها؛ لأنها كانت تصدر عن معظم فئات الشعب؛ مما يجعلها أقرب من الشعر في التعبير عن الثقافة العامة، كما أنّ لها أبعادًا اجتماعية وثقافية ودينية، فهي تمتاز بكثافة المعنى وإصابتها للمعنى المقصود تمامًا، ولأنّها كذلك، فإنّ الناس حين يتناقلونها فيما بينهم، تكون قد حازت على قبولهم ورضاهم عن مضمونها، مما يجعلها أصدق في التعبير عن ثقافة الأفراد الذين يتناقلونها وأشدّ تأثيرًا في سلوكهم؛ لأنها تعبّر عن النموذج الأخلاقي والاجتماعي للمجتمع، فهي توجه سلوك الأفراد.

وتبدو أهمية الامثال في أن معظمها قد قيل في مواقف حقيقيّة، فتروي كما قيلت أوّل مرة، فلا يدخلها تغيير، ثمّ تنتشر بين الناس بعد ذلك، وأمّا الشعر فهو موضع الخيال والمجاز، وقد تكون بعض مضامين القصائد العربية القديمة بشأن المرأة، وخصوصًا في مقدّمات القصائد تمثّل تقليدًا فنّيًا أكثر من كونها تجارب حقيقية؛ ومن هنا كان البحث في الأمثال بحثاً في المجتمع، ونشاط الأفراد وطبيعة تفكيرهم، والثقافة السائدة بينهم، لأنّ الأمثال تقال دون تصنّع، ومن شدّة صدقها وعمق دلالتها، أنها تضرب في الحوادث المشابهة للحادثة التي قيلت فيها أصلًا.

أهميّة البحث

تكمن أهميّة هذا البحث في أنه سيركّز على استجلاء صورة المرأة العربية، والظواهر التي أحاطت بها ورافقت وجودها، من خلال ما سجّلته الأمثال القديمة، والأمثال: أقوال موجزة سائرة تقال في حادثة معينة، ثمّ تستعمل في مواقف مشابهة أخرى للحادثة الأصلية، وهي من الفنون الأدبية القائمة بذاتها، كالشعر، والقصة والمقالة (Qatamish, 1988: 11)، وتنشأ

كمظهر لتفاعل الإنسان مع واقعه في لحظة معينة، اعتمادًا على المخزون الثقافي والاجتماعي واللغوي له، ممزوجًا بمعارفه وخبراته وقيمه وبما يتطابق مع المجتمع، وهو ما يضمن لها القبول والشيوع على ألسنة النّاس(Abd al-Din, 2011: 6').

إنّ دراسة واقع المرأة قديمًا، يساعد في التعرّف إلى صورة المجتمع في الجزيرة العربية في ذلك الوقت، إذ طالما وصف العصر القديم في الجزيرة العربية قبل الإسلام بالجاهلي، وهو ما أغرى برسم صورة سلبية لهذا المجتمع، وإن كان هذا يصحّ في جانب، فإنه لا يجوز تعميمه على جميع مظاهر الحياة وجوانبها الأخرى، وهو ما ستحاول هذه الدراسة استجلاءه، واستخلاص نتائجه، وفق ما تناولته الأمثال، وهذا يسهم في إغناء الدراسات المتعلّقة بالمرأة في الجزيرة العربية في العصر القديم، اعتمادًا على ما سجلته الأمثال من تفاصيل الحياة اليومية، وبواطنها وملامحها الاجتماعية والثقافية.

منهجيّة البحث

سيعتمد البحث المنهج الوصفي الاستقرائي للأمثال الواردة في كتاب مجمع الأمثال للميداني؛ لأنّه احتوى على أكبر عدد من الأمثال القديمة، إذ بلغ عددها (أربعة آلاف وسبعمئة وخمسة وستين مثَلًا)، رتّبها الميدانيّ حسب حروف المعجم، على ثمانية وعشرين بابًا، وأضاف إليها بابين: في أيام العرب، وبعض كلام الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– في أصحابه الكرام، رضي الله عنهم.

وتميّز الكتاب بإيراد قصة المثل في أكثر الأحيان؛ مما يمكّن من معرفة العصر الذي قيل فيه المثل وقائله. ونظرًا لأن الأمثال الواردة في الكتاب لم ترتّب حسب الموضوع، فإن هذا يستدعي الاطلاع على جميع أبواب الكتاب؛ لاستخلاص عينة الأمثال المتعلقة بالمرأة، ومن المأمول أن يتم حصر هذه الأمثال اعتمادًا على القرائن الآتية،

أ. ورود المثل بصيغة التأنيث، مما يعني أنه يختص بالمرأة، ويوثّق شيئًا يتعلّق بها، كقولهم: أَخْرَقُ مِنْ نَاكِثَةِ غَزْلِها (255/1). فلفظ (ناكثة) دالٌّ على أن المثل متعلق بالمرأة. وقد يرد المثل بصيغة التأنيث، وتكون قصتة دالة أيضًا على أنه متعلق بالمرأة، فيتضافر دليلان على ذلك، كما في قولهم: ما يَحْسُنُ القُلْبانُ في يَدَي حالبة الضّأن (262/2)، فقصة المثل تبيّن أنه كانا موجهًا إلى امرأة، وصيغة التأنيث تؤيّد هذا. كما أن بعض الأمثال صدرت عن المرأة نفسها، فجاءت قرينة التأنيث، وقصة المثل دالة على ذلك، كقول إحدى النساء: " أُلْتُ اللِّقَاحَ وَأيلَ عَلَيَّ (53/1).

ب. إشارة المثل صراحة إلى المرأة، كقولهم: " المَرْأَةُ مِنَ المَرْءِ، وكلُّ أَدْماءَ مِنْ آدَمَ (319/2)، وقولهم: النِّسَاءُ شَقَائِقُ الأَقْوَامِ (29/1)، فلفظ (المرأة)، و(النساء) تدل على أن المثل يشتمل على مضمون متعلق بالمرأة.

ج. إشارة قصة المثل إلى بعض شؤون المرأة وحياتها، كقولهم: العَوْدُ أَحْمَدُ (34/2)، فإنّ هذا المثل وإن خلا من صيغة التأنيث، إلا أن قصته تشير إلى أن المرأة كانت لها حرية في اختيار أو رفض من يخطبها. وهذا استدعى من البحث الاطلاع على قصص الأمثال لتحديد ما ورد فيها من مضامين تتعلّق بالمرأة.

وتم استثناء الأمثال التي وردت بصيغة المؤنّث، إذا قصد بها ما لا يَعْقِل: من جماد أو حيوان؛ لخروجها عن نطاق هذا البحث، كقولهم: أَخْرَقُ مِنْ حَمَامَةٍ (255/1)، وهي الطائر المعروف، وكقولهم أيضًا: بعدَ خيرتها تحتفظُ، فالهاء فيها راجعة

إلى الإبل (92/1)، وكقولهم أيضًا: "ألصُّ من فأرة" (257/1)، فالفأرة حيوان لا آدمي. وسيوثّق البحث الأمثال بذكر الجزء والصفحة التي وردت فيها بجانبها مباشرة؛ تقليلًا للتكرار في عملية التوثيق.

المرأة العربية في الجاهلية

يبدو أنّ المرأة العربية في العصر الجاهليّ قد عاشت أحوالًا متنوعة تصل إلى حدّ التناقض أحيانًا، ففي حين نجدها تتمتّع ببعض الحقوق التي كفلت لها حياة مقبولة نسبيًّا في البيئات العربية المختلفة التي عاشت فيها، نجدها في أحيان أخرى تتعرّض للظلم وسوء المعاملة، وانتقاص الحقوق مما يجعل إطلاق حكم عام على الحالة التي عاشتها المرأة في ذلك العصر ينطوي على صعوبات؛ بسبب تنوّع الأحوال التي عاشتها المرأة في ذلك العصر، وإن كانت الصورة العامّة لها تنطوي على إيجابيات لا بأس بها، قياسًا إلى حال المرأة في المجتمعات الأخرى في تلك الفترة.

فالمرأة في الحضارة الرومانية لم يكن لها حقوق مستقلة على الإطلاق، وكانت في الحضارة الهندية عائقًا للخلاص، وخلاص المرء مرهون بالانفصال عنها، وكان حقها منتهيا بانتهاء أجل الزواج، وأمّا في الحضارة المصرية القديمة، فَنُظِر إليها على أنها علة الخطيئة، وخليفة الشيطان، وشرك الغواية والرذيلة، ولا نجاة للروح إلا بالنجاة من أوهاقها وحبائلها (al-Aqqad, 2005: 127).

فهذه بعض ما كانت عليه المرأة في بعض الحضارات الأخرى، وهي بالتأكيد ليست أحسن حالًا من حال المرأة العربية في العصور القديمة. يقول جرجي زيدان:" ومن أكبر الأدلة على رقي العرب في جاهليتهم ارتقاء نسائهم فقد كان للمرأة عندهم رأي وإرادة، وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم؛ فنبغ غير واحدة منهن في السياسة والحرب والأدب والشعر والتجارة والصناعة" (Zaydan, 2012, 1: 43).

ومن الشواهد العامّة على الحقوق والامتيازات التي تمتّعت بها المرأة قبل الإسلام أنها كانت عزيزة القدر مصونة يقدّم لها الاحترام والحماية، وتفدى بالروح، ويحتقر كلّ من تهاون بالدفاع عنها، وليس من المروءة أو الرجولة أن تهان، أو يعتدى عليها، حتّى ولو بادرت هي بذلك (al-Afghani, 1970: 18-20)، وفي بعض الأحيان نشبت حروب بسبب حماية المرأة والدفاع عن حريتها وكرامتها وشرفها، فحرب ذي قارّ ،على سبيل المثال، نشبت بين المناذرة والفرس لأنّ الملك النعمان رفض تزويج ابنته وبعض بنات قبيلته من الفرس، وكانت عادة العرب ألّا تزوّج بناتهم من الأعاجم، كما أنّ حرب البسوس بين قبيلتي: تغلب وبكر، نشبت حفظًا لجوار امرأة، واستمرت هذه الحرب أربعين عامًا، وحرب الفجار الثاني في عكاظ نشبت انتصارًا لكرامة امرأة (al-Afghani, 1970: 20). ومن الشواهد التي تبيّن مكانة المرأة العالية في المجتمع الجاهلي أيضًا،

أ. حريّة المشاركة في مجالات الحياة المختلفة، ففي الشعر اشتهرت الخنساء، التي أنشدت شعرها بين جموع الشعراء؛ فشهد لها النقاد بالنبوغ والتفوّق، كما أنها كانت تنقد الشعر وتبين رأيها فيما ينشده الشعراء. واشتهر في مجال الخطابة هند بنت الخس الملقبة بالزرقاء، وفي الطب اشتهرت زينب طبيبة بنى أود، وهذه الأسماء يوردها البحث على سبيل المثال لا الحصر، وأمّا في الحرب فقد كان للمرأة حضور مهمّ في تمريض الجند، ومساعدتهم وشدّ أزرهم (Afifi, 1932, 1: 17-19‘). وأتيح لها أيضًا أن تتولّى سدّة الحكم أحيانًا، فتقلّدت أعلى المناصب وأدارت شؤون

المجتمع، واشتهر من تلك النساء: بلقيس: ملكة سبأ (Ibn al-Athir, 1997, 1: 201)، والزّباء: ملكة تدمر (Ibn al-Athir, 1997, 1: 316).

ب. الحرية في اختيار الزوّج، وهذا هو الأعم (Zaydan, 2012, 1: 43)، وإذا حدث خلاف هذا فهو قليل لا يشكّل ظاهرة، ومن شواهد هذه الحرية: قصة عتبة بن ربيعة عندما خطب سهيل بن عمرو، وأبو سفيان بن حرب ابنته هند، فقد أعطاها حرية الاختيار دون إجبار قائلا لها (Ibn ‘Abd Rabbih, 1971, 7: 94)،

فدونك فاختاري فأنت بصيرةٌ وما منهما إلا أغرّ سَمَيدعُ

قالت: يا أبت، والله ما أصنع بهذا شيئا، ولكن فسّر لي أمرهما وبيّن لي خصالهما؛ حتى أختار لنفسي أشدّهما موافقة لي. فبدأ بذكر سهيل بن عمرو، فقال: أما أحدهما ففي ثروة واسعة من العيش، إن تابعتيه تابعك، وإن ملت عنه حطّ إليك، تحكمن عليه في أهله وماله. وأما الآخر فموسّع عليه، منظور إليه في الحسب الحسيب والرأي الأريب، مدره أرومته، وعزّ عشيرته، شديد الغيرة، كثير الظّهرة، لا ينام على ضعة، ولا يرفع عصاه عن أهله. فقالت: يا أبت، الأوّل سيد مضياع للحرّة، فما عست أن تلين بعد إبائها، وتضيع تحت جناحه، إذا تابعها بعلها فأشرت، وخافها أهلها فأمنت، فساء عند ذلك حالها، وقبح عند ذلك دلالها، فإن جاءت بولد أحمقت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت؛ فاطو ذكر هذا عني، ولا تسمّه عليّ بعد. وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة، الحرّة العفيفة، وإني للتي لا أريب له عشيرة فتعيره، ولا تصيّره بذعر فتضيره، وإني لأخلاق مثل هذا لموافقة، فزوّجنيه. فزوّجها أبوها ممن اختارته بنفسها دون إجبار لها، وهو أبو سفيان (Ibn ‘Abd Rabbih, 1971, 7: 94).

وبلغ من حرية المرأة في الجاهلية أنها كانت تبوح بصفات من تراه جديرًا بها، فقد شاورت امرأة من طيء ابنتها في أحبّ الرجال إليها حين جاءها الحارث بن سليل الأسدي خاطبًا، بقولها: أتحبين الكهل الجحجاح، أم الواصل المنّاح، أم الفتى الوضاح ؟ فقالت الابنة : لا بل الفتى يا أماه: إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أَنيقَ الكلا (al-Maydani, n.d., 1: 122-123). وتذكر بِنْتَا ذي الأصبع العدواني الصفات التي يحببنها في الرجل، فتقول الصغرى (al-Hufi, 1963: 168 & 169)،

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غني حديث الشباب طيب الريح والعطر

وأما الكبرى فترجو أن تظفر بالشاب الثري العليم بالنساء، فتقول،

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى طبيب بأدواء النساء كأنّه
حديث الشباب طيب الريح والعطر خليفة جانٍ لا ينام على وتر

ج. الحرية في إنهاء العلاقة الزوجية، فقد أشار أبو الفرج الأصفهاني (al-Asfahani, 2008, 17: 275) إلى تمتّع النّساء بهذا الحقّ بقوله:" وكان النساء أو بعضهن يطلقن الرّجال في الجاهلية" فتشير المصادر إلى أن المرأة لم تكن في

حاجة للمصارحة بالطلاق فالبدويات منهن حسبهن أن يحولن أبواب أخبيتهن لإعلان رغبتهن بالطلاق، فإن كانت أبوابهن للشرق حوّلنها إلى الغرب ، وإن كانت إلى الجنوب فإلى الشمال، وهو ما فعلته ماوية بنت عفرز حين طلقت زوجها حاتما، وممن اشتهرن بذلك: سلمى بنت عمرو إحدى نساء بنى عدى النجار التي كانت لا تتزوج الرجال إلاّ وأمرها بيدها، فإذا رأت من الرجل شيئاً لم يعجبها تركته (Afifi, 1932, 1: 57‘).

ومع أنّ المرأة في الجاهلية قد تمتّعت ببعض ما أشار إليه البحث من حقوق، فإنّ هذا لا يمنع من القول إنها قد عانت أيضًا كثيرًا من انتقاص الحقوق، ومن أبرز ما تعرّضت له من مظالم: أنها كانت تمثّل عبئًا ثقيلًا على أسرتها وقبيلتها، فلم يكن مرحّبًا بوجودها منذ ولادتها، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ"(سورة النّحل، 58، 59).

ويبدو أنّ طبيعة الحياة التي عاشها العرب في الجاهلية من حروب وغزوات وصراع بين القبائل كانت ترغِّب الآباء في البنين وتزهِّدهم في ذريّة البنات. فلم يكن أبغض إلى الأب من خبر يأتيه بمولد أنثى ولو كان ذا وفر ووفرة (al-‘Aqqad, 2005: 127 & 128)؛ ذلك أنّ المرأة هي عرض العربي وشرفه، وهو ما كان يستدعي من الأسرة أو القبيلة جهدًا إضافيّا في الحماية وتوفير متطلبات الحياة الأخرى، وأدّى هذا الأمر إلى ظهور ممارسة وأد البنات؛ خشية الفقر؛ وخوفًا من العار، مع أنّ ظاهرة الوأد لم تكن عامّة في القبائل العربية جميعها، كما أنها لم تكن عامّة في القبيلة الواحدة نفسها. وتعرّضت المرأة لمظالم أخرى: كالسبي في الحروب، واستعمالهن وسيلة لإذلال الخصم حين تقع في قبضة المتحاربين، إضافة إلى الحرمان من الميراث (al-Afghani, 1970: 21-29). ولعلّ هذا يؤكد أنّ أحوال المرأة في العصور العربية القديمة لم تكن في أحسن أحوالها في ذلك الوقت، مع أنها قد نالت حقوقًا، وحازت على مكانة مرموقة في المجتمع بشكل عام.

المرأة في الأمثال

تعدّ الأمثال في العربيّة من أوسع الفنون الأدبية التي جمعها الرّواة ووثّقوها في كتبهم، منذ بدايات التأليف في العصر الأموي، وساعدهم في ذلك ما تتّصف به الأمثال في أحيان كثيرة من إيجاز، فضلًا عن جريانها في الاستعمال على ما نطقت به أوّل مرة، فتروى وتشيع بين الناس على صورتها التي قيلت فيها، وخاصّة في دائرة المعنى، فإنها وإن تغيّرت ألفاظها بحسب اللهجات أحيانًا، فإن دلالة تلك الأمثال لم يدخلها تغيير يذكر. وتعدّ الأمثال من أقدم الأشكال الأدبية، إن لم تكن أقدمها على الإطلاق، ويلحظ أنّ الأمثال في الأدب العربي لم تترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الناس إلا ولها فيها قول (Sellheim, 1971: 7)، فلا عجب أن تنال المرأة نصيبًا وافرًا في الأمثال، وهو نصيب لا يقل عما نالته في الشعر من حيث الكمّ، مع اختلافه بطبيعة الحال من حيث النّوع. فالشّعر له أوزانه وطبيعته الفنيّة التي يراعيها الشعراء في قصائدهم، بينما تأتي الأمثال غالبًا بنت لحظتها، بل إنها قد تخرج أحيانًا عن قواعد اللغة الجارية.

ويلحظ أنّ الأمثال تنوّعت تنوّعًا كبيرًا في تأصيل صورة المرأة في المجتمع، مع مراعاة أدقّ التفاصيل التي ميّزت تلك الصورة، من حيث الحياة اليومية، وثقافة المجتمع نحوها، وما رافق حياتها من ظروف، وقد بلغت الأمثال وقصصها التي وثّقت هذه الملامح ستة وثمانين مثلًا، يمكن تصنيفها على النحو الآتي،

أ. أمثال قيلت في المرأة من غيرها، في موقف أو حادثة، كقولهم : أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النِّحْيَيْنِ (376/1)،و "بَيْنَهُمْ عِطْرُ مَنْشِمَ" (93/1)، و تَرَكْتُهُ تُغَنِّيهِ الْجَرَادَتَانِ (131/1، 132)، وقد يكون القائل في هذه الأمثال رجلًا أو امرأة؛ إذ لا توجد قرينة دالة على القائل على وجه الخصوص، إلا إذا أشارت قصة المثل إلى ذلك صراحة. كما في المثل القائل: حِينَ تَقْلِينَ تَدْرِينَ (204/1، 205)، فقد أشارت قصة المثل إلى أن رجلا قاله في امرأة.

ب. أمثال قالتها المرأة نفسها في موقف أو حادثة، كقول امرأة: " أُلْتُ اللِّقَاحَ وَأيلَ عَلَيَّ" (53/1)، فقصة المثل أشارت إلى أن أول قائل للمثل امرأة كانت راعيةً ثم رُعِي لها. وقول امرأة أخرى: صَكًّا وَدِرْهَمَاكَ لَكَ (407/1)، إذ أشارت القصة إلى أن أول من قال المثل امرأة.

ج. أمثال جاءت بصيغة خبرية عامّة، كقولهم: " المرْأَةُ مِنَ المرْءِ، وكلُّ أَدْماءَ مِنْ آدَمَ" (319/2)، وقولهم: النِّسَاءُ شَقَائِقُ الأَقْوَامِ (29/1)، وأهمية هذا النوع من الأمثال أنها جاءت بصيغة تعبّر عن ثقافة عامة في المجتمع.

ومن حيث مضمون الأمثال التي تم حصرها، فقد أشار بعضها إلى أنشطة يومية مارستها المرأة في ذلك العصر أحيانًا، كرعي الأغنام، والبيع، وغزل الصوف، والغناء. وتضمن بعض الأمثال إشارات إلى مواقف إيجابية للمجتمع من المرأة، كاحترامها وتقديرها، والدعوة للاستماع لرأيها وحكمتها، واحترام حريتها في اختيار الزوج، وامتداح صفاتها الإيجابية. فيما أشار بعضها الآخر أيضًا إلى مواقف سلبية من المرأة، كالتحذير من طاعتها، والتشاؤم منها، والإشارة إلى بعض ما يمكن اعتباره انتقاصًا من المرأة، كسرعة التغير وعدم الاستقرار على رأي، وعدم القدرة على الفهم، كما تضمنت بعض الأمثال إشارات إلى بعض الظواهر السلبية العامة التي عانت المرأة منها أحيانًا، كظاهرة الإماء، وتعدد الزوجات، والعلاقة بين الحماة وكنتها، والسبي والوأد، ومخالفة بعض النساء للأعراف. ويمكن تفصيل ملامح هذه الصورة العامة على النحو الآتي،

أولًا: نشاط المرأة في الحياة اليوميّة

غالبًا ما تقدّم المرأة العربية على أنها حبيسة بيتها، ويكاد ينحصر عملها في تربية الأبناء والعناية بالبيت، وهذا صحيح، ولكنه لا يمثّل الصورة الكاملة لنشاط المراة في العصور القديمة، فالأمثال تقدّم وتوثّق صورًا أخرى لبعض الأعمال التي مارستها المرأة، مما يدلّ على تنوّعٍ في الأعمال التي شاركت فيها في ذلك الوقت، وهو مما يشير إلى توفّر مساحة من الحرية لها في حياتها اليومية، فقد وثّقت الأمثال عمل المرأة في رعي الأغنام في المثل القائل على لسان امراة: أُلْتُ اللِّقَاحَ وَأيلَ عَلَيَّ (53/1)، قالته امرأة كانت راعيةً ثم رُعِي لها، وأُلْتُ: من الإيالة وهي السياسة، فالمثل يبين أنّ هذه المهنة كانت تتطلّب سياسة ودراية في التعامل مع الأغنام.

كما عملت المرأة في حلب الأغنام والإبل، وهو عمل ضروري في تلك البيئة التي كانت تعيش فيها، إذ كان الحليب غذاء مهمّا للمجتمع البدوي (Dizirih, 1995: 80)، يفهم ذلك من المثل القائل: إنْ كُنْتِ الحَالِبَةَ فاسْتَغْزِرِي (76/1)، أي إن قصدتِ الحلب فاطلبي ناقة غزيرة. وقولهم: ما يَحْسُنُ القُلْبانُ في يَدَي حالبة الضّأن (262/2)، أي: لا يحسن أن تلبس الحالبة السّوار لما في ذلك من إعاقة لعملها.

واشتغلت بعض النساء في مجال البيع، وتوثّق الأمثال صورتين لعمل المرأة في هذا المجال:

أ. الأولى في بيع السّمن، فقد كانت امرأة من بني تَيْم الله بن ثعلبة تبيع السمن في الجاهلية، وهو ما عرّضها لموقف لا تحسد عليه؛ فضرب بها المثل فقيل: أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النِّحْيَيْنِ (376/1)، فقد أتاها خَوَّات بن جُبَير الأنصاري يبتاع منها سَمْنا، فلم يَرَ عندها أحدا، وساوَمَها فحَلَّت نِحْياً، فنظر إليه، ثم قال: أمسكيه حتى أنظر إلى غيره، فقالت: حُلَّ نِحْياً آخر، ففعل، فنظر إليه فقال: أريد غير هذا فأمسكيه، ففعلت، فلما شَغَلَ يديها ساوَرَها، فلم تقدر على دَفْعه حتى قضى ما أراد وهرب. وهذا المثل يوثق صورة لبعض ما كانت تتعرض له المرأة من مخاطر أثناء عملها.

ب. والأخرى في مجال بيع العطور؛ حتّى اشتهر اسم " مَنْشِمَ" كعلامة تجاريّة يضرب بها المثل، فقيل: بَيْنَهُمْ عِطْرُ مَنْشِمَ (93/1)، ومنشم: امرأة عملت في بيع العطور في ذلك الوقت، قال الأصمعي: مَنْشِم – بكسر الشين – اسمُ امرأةٍ عطَّارة كانت بمكة، وكانت خُزَاعة وجُرْهم إذا أرادوا القتالَ تطيَّبُوا من طيبها، وإذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم، ولهذا كان عطرها مثارًا للشؤم، فكان يضرب المثل بعطرها، فيقال: أَشْأَمُ مِنْ عِطْرِ مَنْشِمَ. يضرب في الشر العظيم (al-Maydani, n.d. 1: 93).

وبعض النساء عملن في غزل الصّوف، أشار إلى ذلك قولهم: أَخْرَقُ مِنْ نَاكِثَةِ غَزْلِها (255/1)، ويقال: من ناقضة غَزْلها، وهي امرأة كانت من قريش يقال لها: أم رَيْطَة بنت كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة، وهي التي قيل فيها "حَرْقَاء وجَدَتْ صُوفاً" (al-Maydani, n.d., 1: 237)، فكانت هذه المرأة تغزل، وتأمر جَوَارِيَهَا أن يغزلن، ثم تنقض وتأمرهن أن ينقضن ما فتلن، فضرب بها المثل في الْخُرْقِ أي: الحمق (al-Maydani, n.d., 1: 256). ويبدو أنّ هذه الأعمال كانت تتناسب مع البيئة التي عاشت فيها المرأة مما جعلها محلّ قبول من المجتمع؛ لأنها بيئة بدوية تعتمد على رعي الأغنام والإبل وحلبها وغزل صوفها، فكان من الطبيعي أن تتّجه المراة للعمل في هذه الأعمال.

وعملت طائفة من النساء في الغناء، ولكنه عمل اختص بالقيان أو الإماء دون غيرهنّ، وهنّ النساء غير العربيات، وأتي بهن من البلاد المجاورة، كالحبشة أو من سواها من البلاد للعمل والخدمة، فالقينة: هي الأَمَة المغنيّة، وقيل: مغنيّة كانت أو غير مغنّية (al-Asad, 1969: 18). ومن الأمثال التي أشارت إلى هذا العمل، قولهم: تَرَكْتُهُ تُغَنِّيهِ الْجَرَادَتَانِ (131/1، 132)، يضرب لمن كان لاهياً في نعمة ودَعَة. والجرادتان: قَيْنَتَا معاوية بن بكر أَحَد العماليق، أحد سادات مكة في ذلك الزّمان، ومن الأمثال الأخرى التي توثق عمل المرأة في الغناء قولهم أيضًا: ألحن من قينتي يزيد (255/2)، وألحن من جرادتين (256/2).

وتوثّق الأمثال أنّ بعض النساء امتهنّ أعمالًا لا يرتضيها المجتمع، فكن يكتسبن المال بممارسة هذه الآفة، وغالبًا ما تنسب هذه النساء إلى الإماء والقيان؛ لأنّ المرأة العربية كانت تخاف من المجاهرة بمثل هذه الأعمال، حتّى وإن وقعت فيها، ومن الأمثال التي وثّقت ذلك قولهم: ابْنُ زَانِيَةٍ بِزَيْتٍ (109/1)، أصله أن قوماً من اللصوص جَلَبوا امرأة، فلما قَضَوْا منها

أوطارهم أَعْطَوْها قِرْبَة زيتٍ كانت عندهم؛ إذ لم يحضرهم غيرها، فقالت المرأة: لا أريدها لأني أَخْسِبَني عَلِقْت من أحدكم، وأَكْرَه أن يكون مولودي ابنَ زانية بزيت، فذهب قولها مثلاً، ومع أنّ المرأة قد رفضت الأجرة، إلا أن سياق المثل دالٌّ على أنها قد قامت بما عملت مقابل الأجر.

ومن ذلك أيضًا قولهم: حِينَ تَقْلِينَ تَدْرِينَ (204/1، 205)، وأصل هذا أن رجلا دخَلَ إلى امرأة وتمتَّع بها، ولكنه سرق مِقْلًى لها، فلما أراد الانصرافَ قالت له: قد غَبَنْتُكَ، لأني كنتُ إلى ذلك العمل أَحْوَجَ منك وأخذتُ دراهمك، فقال لها: حينَ تَقْلِينَ تدرين. يضرب للمَغْبُون يظن أنه الغابن غيره. فقولها: أخذت دراهمك دالٌّ على امتهانها لهذا العمل. ومما ورد من الأمثال أيضًا في هذا الموضوع، قولهم: صَكًّا وَدِرْهَمَاكَ لَكَ. (407/1)، وقصة المثل: أن امرأة كانت تؤاجر نفسَها من الرجال بدرهمين لكل من طَلَبها، فاستأجرها يوما رجل بدرهمين، فلما جامعها أعجبها جِمَاعُه وقوته وشدته فجعلت تقول: "صكا" أي صُكَّ صكا "ودرهماك لك" فذهب قولها مثلا.

ويستخلص مما وفّرته الأمثال عن أوجه النشاط اليوميّ للمرأة، أن عملها تعدّى الأعمال البيتية إلى مجالات أخرى، مما يدلّ على أنها نالت حرية نسبيّة في حياتها، بما يتلاءم مع ظروف الحياة التي كانت تعيش فيها، إضافة إلى تنوّع المجتمع النسائي المكوّن من الحرائر والقيان والإماء، وهذا التنوّع انعكس على النشاط اليومي للمرأة.

ثانيًا: موقف المجتمع من المرأة

لعلّ من المفيد تسليط الضوء على موقف المجتمع من المرأة، وطبيعة نظرته إليها من خلال استقصاء الأمثال التي تضمّنت هذا الموقف أو أشارت إليه، ومحاولة بلورة صورة متكاملة لذلك الموقف بدقة وموضوعية، بقدر ما تسعفنا به الأمثال الواردة، ويلحظ أنّ هذا الموقف لم يكن على صورة واحدة، فحوت بعض الأمثال، وقصصها كثيرًا من المواقف الإيجابية من المرأة، ولكن في الوقت نفسه لا نعدم أن نجد مواقف أخرى سلبية (Allaf, 2009: 39 & 61). ويبدو أنّ هذه المواقف كانت تصدر عن ثقافة موجودة في المجتمع نحو المرأة، ولهذا سيعرض البحث المضامين والمواقف الإيجابية والسلبيّة نحو المرأة، التي وثقتها الأمثال وقصصها، على النحو الآتي،

أ. مضامين إيجابية تجاه المرأة

نظر العربي إلى لمرأة على أنها شرفه الذي لا ينفصل عنه، فهي جزء مهم يجب صونه، والمحافظة عليه من أيّ أذى، فالمرأة هي الأم والأخت، والعمة والخالة، والزوجة والابنة، وغير ذلك من صور العلاقات الاجتماعية، بل إن العربي رأي في المرأة أمرًا يجب صونه حتى لو كانت جارته، فخلّد الشعر قول عنترة (Mawlawi, 1970: 308)،

وأَغُضُّ طرفي ما بدَتْ لي جارَتِي حتى يُواري جارتي مأْواها

فكانت صرخة امرأة واحدة سببًا كافيًا لنشوب حروب طويلة بين القبائل (Dayf, 1965: 65). وفي الأمثال نجد بعضا منها يحمل مضامين إيجابية تجاه المرأة، ويمكن حصر هذه المضامين فيما يلي،

1. احترام المرأة وتقديرها ومراعاة خصوصيتها

لاحظ البحث ورود عدد من الأمثال تشير إلى احترام المجتمع للمرأة، والنظر إليها على أنها جزء مهم من المجتمع مساوٍ للرجل، كقولهم: " المَرْأَةُ مِنَ المَرْءِ، وكلُّ أَدْماءَ مِنْ آدَمَ (319/2)، أي: إن المرأة جزء من الرجل، فهو يميل إليها وهي تميل إليه، وهي نظرة موضوعية تنطلق من فكرة التكامل بينهما لا التنافر، وأنها تشكّل نصف المجتمع فلا يجوز إهماله. ويُقَال إنّ هذا أولُ مثلٍ جَرَى للعرب، ولا شكّ بأنّ ورود هذا التّصور لقيمة المرأة في ذلك الوقت ودورانه على ألسنة الناس يدلّ على أنه كان يمثّل ثقافة عامّة للمجتمع.

ومن ذلك أيضًا قولهم: النِّسَاءُ شَقَائِقُ الأَقْوَامِ (29/1)، والشقائق: جمع شقيقة، وهي كل ما يشق إلى اثنين، وأراد بالأقوام الرجالَ، ومعنى المثل: إن النساء مثلُ الرجال وشقت منهم، فلهن مثل ما عليهن من الحقوق. ومن صور احترام المرأة، قولهم: يَغْلِبنَ الكرامَ، ويغلبهنّ اللئام (426/2)، يعنون بذلك النساء، فالكريم لا يقبل أن يغلب امرأة، واللئيم هو من يقبل ذلك. وفي المثل حث على احترام المرأة، وتنفير من الإساءة إليها.

وبعض الأمثال أشارت إلى ضرورة احترام خصوصية المرأة، كقولهم: إنَّ النِّسَاءَ لَحْمٌ عَلَى وَضَمْ (19/1). والوَضَم: ما يوضع على الأرض كالحصير المنسوج من القصب تحت اللحم؛ ليحفظ مما تحته من الأرض، وهذا المثل يروى عن عمر رضي الله عنه حين قال: لا يخلُوَنَّ رجل بِمُغِيبَةٍ، أراد أنهنَّ في الضعف مثل ذلك اللحم الذي لا يمتنع على أحد، إلا أن يذب عنه ويدفع (al-Maydani, n.d.: 1 29). فالمثل يدعو إلى احترام هذه الخصوصيّة.

وبالجملة فإنّ العربيّ نظر إلى المرأة على أنها موضع الشرف والعزّة، فلم يقبل من أحد أن يتعرّض لهذا الشرف بأي شيء يشينه، وفي هذا ورد قولهم في المثل المشهور:كُلُّ شَيءٍ مَهَهٌ، مَا خَلاَ النِّسَاءَ وَذِكْرهُنَّ (132/2)، أي: أن الرجل يحتمل كلَّ شَيء، إلا أن يأتي ذكر حُرَمه، فيمتعض حينئذ، فلا يحتمله (al-Maydani, n.d., 2: 132). ومما يعبّر عن هذه الثقافة أيضًا قولهم: كلُّ ذات صِدارٍ خالة (132/1)، ومعناه أن الغَيُور إذا رَأى امرَأة عَدَّهَا في جُمْلة خالاته لفرط غَيْرَته. ومن صور احترام المرأة الحثّ على احترام الأمّ لما لها من فضل، فقد ورد قولهم: إنَّكَ لاَ تَعْدُو بِغَيْرِ أُمكَ(75/1) فحمل الأمّ والعدو بها إنما هو لمكانتها ولفضلها على أبنائها.

ويستخلص من الأمثال الواردة في هذا المجال أنّ المجتمع بشكل عام كان يحترم المرأة، وأنّ هذه هي السمة العامّة للمجتمع (al-Khudari, 1354H, 1: 17-20) ، ولولا ذاك لما تداولوا هذه الفكرة في أمثالهم؛ لأنّ الأمثال تعبّر عن ثقافة المجتمع، وتوثقها كما هي في الواقع.

2. الدعوة للاستماع لرأي المرأة والاستفادة من خبرتها وحكمتها

نظرت بعض الأمثال إلى المرأة على أنها مستودع الخبرة والحكمة التي تستحق الاستماع إليها والأخذ بها، وجاء ذلك في معرض امتداح بعض النساء اللواتي عرفن بذلك، من ذلك قولهم: أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ اليَمَامَةِ (114/1)، وقيل أيضًا: أحكم من زرقاء اليمامة (222/1)، وهي امرأة سمّيت باليمامة قيل إنها كانت تُبْصِر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، فحدث أنّ حذّرت قومها باقتراب جيش معادٍ لهم، فلم يسمعوا لنصحها، حتى وصلهم العدو فاجتاح بلادهم، وقضى عليهم، وقتلت الزرقاء فيمن قتل. فصار يضرب المثل بسداد رأيها وصحته، واستعمال المثل بهذه الصورة دالّ على تقدير المجتمع لرأي المرأة والحثّ على سماعه والأخذ به وعدم تركه. فشيوع المثل دالٌّ على كثرة استعماله في مدح كل امرأة تتصف بما اتصفت به الزرقاء من حكمة وبعد نظر.

ومن ذلك قولها حين حذّرت قومها من جيش أقبل متخفّيا نحوهم من مسيرة ثلاثة أيام فلم يسمعوا لقولها فقالت: العِيْرُ أوقى لدمه من راعٍ لغنمه (13/1)، وذلك أنه ليس شيء يحذر حذر العير إذا كان هناك من يترصّد له، فبينما كان العير يستشعر الخطر القادم ويحس به، فإنّ قومها لم يسمعوا لها فكانت عاقبتهم وبالًا عليهم، لعدم سماعهم لنصيحتها في أخذ الحذر من عدوهم.

وفي قصة المثل القائل: عسى الغوير أبؤسًا (17/2) ما يدلّ على حكمة المرأة وفطنتها ورجاحة عقلهان وهو ما يلحظ في استشعار الزّباء ملكة تدمر بالخطر عند رجوع قصير من العراق ومعه الرّجال الذين أخفاهم في صناديق؛ لقتل الزباء والاستيلاء على مملكتها، فحين علمت أنه سلك طريقًا غير الطريق التي تسلكها القوافل عادة، استشعرت بخطر من ذلك الفعل؛ فقالت لقومها: لعلّ الشّر يأتيكم من قبل الغار، وهو ما كان فعلًا.

وفي المثل القائل: العَوْدُ أحمدُ (34/2) يظهر ذكاء فتاة من بني ذهل في إقناع والديها بالموافقة على خطبتها من شاب يقال له خِداش وقد كان رفض من قبل، فحين سألتها أمّها بقولها: ما يدعوك إلى ذلك مع قلّة ماله؟ فأجابت الفتاة أمّها: إذا جمعَ المالَ السّيء الفعال، فقبحًا للمال (الميداني. د.ت، 2: 35)، فكان حسن جوابها وفطنتها حافزًا لوالديها على القبول بالشاب حين طلبها للزواج في المرة الثانية.

3. احترام حرية المرأة في اختيار الزوج

تظهر قصص الأمثال القديمة أنّ المرأة قد تمتّعت بحرية في اختيار زوجها في كثير من الأحيان، وتعكس بعض القصص حرية مطلقة لبعض النساء في اختيار الزواج، ويرى (Nicholson, 1966: 87 & 88) أنّ المرأة العربية في العصور القديمة كانت على مستوى كبير من الأنفة، وتمتّعت بحرية اختيار زوجها، وهو ما تؤكّده فعلًا كثير من قصص الأمثال الواردة في هذا المجال.

ومن هذه القصص، قصة المثل القائل: إِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةْ (49/1)، فأول من قال ذلك: سَهْل بن مالك الفَزَاري، حين خرج يريد النعمان، فمر ببعض أحياء طيء، فسأل عن سيد الحي، فقيل له: حارثة بن لأم، فأمَّ رَحْلَه فلم يجده في بيته، فقالت له أخته: انْزِلْ في الرَّحْب والسَّعَة، فنزل فأكرمته ولاطفته، ثم خرجت من خِبائها فرأى أجْمَلَ أهل دهرها

وأكملهم، وكانت عَقِيلَةَ قومِها وسيدة نسائها، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يَدْرِي كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك، فجلس بِفناء الخِباء يوماً وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد ويقول،

يَا أُخْتَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَهْ كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فَتًى فَزَارَهْ
أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهْ إِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهْ

فلما سمعت قوله عرفت أنه إياها يعني، فقالت: ماذا بِقَوْلِ ذي عقل أريب، ولا رأيٍ مصيب، ولا أنف نجيب، فأقِمْ ما أَقَمْتَ مكرَّما ثم ارْتَحِلْ متى شئت مسلماً،...فاسْتَحْيا الفتى وقال: ما أردتُ منكرا واسوأتاه، قالت: صدقْتَ، فكأنها اسْتَحْيَتْ من تسرُّعها إلى ثُمَته، فارتحل، فأتى النعمان فَحَبَاه وأكرمه، فلما رجع نزل على أخيها، فبينما هو مقيم عندهم تطلَّعت إليه نفسُها، وكان جميلا، فأرسلت إليه أنِ اخْطبني إن كان لك إليَّ حاجة يوما من الدهر، فإني سريعة إلى ما تريد، فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه. فلولا موافقتها على الزواج منه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وقد كانت رفضته في البداية، ثم طابت به نفسها حين رجع إلى زيارتهم (al-Maydani, n.d., 1: 49).

ومن قصص الأمثال الأخرى التي تؤكّد امتلاك المرأة لحريتها في اختيار زوجها، قصة عَثمة بنت مطرود مع أختها خود، فإنه قد جاء لخطبة خود عدد من الفتيان، وكانوا إخوة، فاختارت واحدًا منهم، ولكن عتمة نصحتها بأن تتزوج في قومها، فإنّ هؤلاء الفتيان وإن بدوا على أكمل وجه، فإنّها لا تعرف عيوبهم لأنهم ليسوا من قومها، وقالت عتمة لأختها: تَرَى الفِتْيَانَ كالنَّخْلِ ومَا يدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ (137/1) فذهب كلامها مثلًا، أي: إنّك ترينهم ذي أجسام ولكنك لا تعرفين عيوبهم، ولكن خود لم تسمع لقول أختها وتزوجت واحدًا من الفتيان، وقد تبيّن لها فيما بعد بأنه جبان، فكان أن سبيت من قبيلة أخرى بعد ان تركها زوجها لمصيرها المشؤوم، وقد وقع ما قالته عتمة، فبينما هي تسير بكَتْ، فقالوا: ما يبكيك ؟ أعلى فراق زوجك ؟ قالت: قَبَّحه الله! قالوا: لقد كان جميلا، قالت: قبح الله جمالا لا نَفْع معه، إنما أبكي على عصياني أختي وقولها: "ترى الفيان كالنخل وما يدريك ما الدخل" وأخبرتهم كيف خطبوها، فقال لها رجل منهم يكنى أبا نُوَاس شاب أسود أَفْوَهُ مضطرب الخلق: أَتَرْضَيْنَ بي على أن أمنعك من ذئاب العرب، فقالت لأصحابه: أكذلك هو؟ قالوا: نعم إنه مع ما تَرَيْنَ لَيَمْنَعُ الحَلِيلة، وتَتَّقِيه القبيلة، قالت: هذا أجمل جمال، وأكمل كمال، قد رضيت به، فزوجوها منه (al-Maydani, n.d., 1: 137 & 138). فقصتها تؤكد أن زواجها في المرتين كان عن اختيار منها.

وتظهر قصة المثل القائل:" زَوْجٌ مِنْ عُودٍ، خَيْرٌ مِنْ قعُودٍ" (320/1) صورة لما كانت عليه بعض الفتيات، وتفضيلهن للزواج بأنماط معينة من الشباب، وهذه مساحة لا بأس بها من الحرية، بل إن واحدة من الفتيات، والمثل رواه المبرّد عن ذي الإصبع العَدْوَانيّ وكان رجلا غَيُوراً وله بنات أربع، وكان لا يزوجهن غَيْرَةً، فاستمع إليهنّ يومًا دون أن يعلمن بذلك، وقد خَلَوْنَ يتحدثْنَ، فتمنّت كلّ واحدة الشّاب الذي تحلم أن يكون زوجًا لها، فتمنّت الكبرى أن يكون زوجها غنيّاً، والثانية تمنّت أن يكون زوجها سيّدًا في قومه، والثالثة، تمنّت أن يكون شجاعًا عليما بالنساء وطبعهنّ، وأمّا الرابعة فلم تذكر ما تتمناه، وإنّما قالت: زوج من عود خير من قعود (al-Zamakhshari, 1962, 2: 111) ، أي: أنّها تمنى أن تتزوج فحسب، بغضّ النظر عن طبيعة الزوج، وهو ما تحقق فعلًا فيما بعد، وقصة المثل دالّة على أن كلّ واحدة تحقق لها ما أرادت، وإن كان أبوهن في الأصل يغار عليهن ولا يحبّ تزويجهنّ، ولكنه زوّجهن بعد سماعه لأمنياتهنّ.

وبلغ من حريّة بعض النساء أنهن بادرن إلى عرض الزواج على الرجل، كما في قصة المثل القائل: في دون هذا ما تنكر المرأةُ صاحبَها (82/2)، فقد بادرت الجارية في عرض نفسها على الحَكَم بن صخر، بعد أن قالت له: إن أختها قد تزوّجت، فقال لها: "لو أدركتها لتزوجتها، فأجابته الجارية: فِدَىً لك أبي وأمي ما يمنعك من شريكتها في حَسَبها وجَمَالها وشقيقتها؟" (al-Maydani, n.d., 2: 82).

ويؤكّد المثل القائل: " أَسْرَعُ مِنْ نِكاحِ أُمِّ خَارِجَةَ" (348/1) ما كانت تتمتع به بعض النساء من حرية في اختيار الزوج، بل وفي امتلاكها للطلاق منه إذا شاءت، فقد عُرفت أمّ خارجة بكثرة زواجها، وسرعت موافقتها عليه أيضًا، حتى ضرب المثل بها في ذلك، كان يأتيها الخاطبُ، فيقول: خِطْبٌ، فتقول نكح. وكانت ذَوَّاقَةً تُطَلَّقُ الرجلَ إذا جربته وتتزوج آخر، فتزوجت نيفا وأربعين زوجا، وولدت عامة قبائل العرب. وأورد الميداني بعضًا ممن اشتهرن من نساء العرب في امتلاكهن للحرية في الزواج والطلاق، فقال:" وكانت أم خارجة هذه ومارية بنت الجعيد العَبْدِية وعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمية وفاطمة بنت الخُرَشُب الأنمارية والسوّاء العَنْزِية ثم الهَزَّانية وسلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد أحد بني النجار وهي أم عبد المطلب بن هاشم، إذا تزوجت الواحدةُ منهنَّ رجلا وأصبحت عنده كان أمرُها إليها، إن شاءت أقامت، وإن شاءت ذهبت" (al-Maydani, n.d., 1: 348).

ويبدو أنّ هذه الحريّة التي توفّرت للمرأة العربية كانت نسبية تختلف من بيئة إلى أخرى، وهذه هي طبيعة المجتمعات الإنسانية، لا يمكن تعميم الأحكام عليها بشكل مطلق. فقد ورد في الأمثال ما يشير إلى أنّ الفتاة كانت تغلب على رأيها، فتكون موافقتها على غير اقتناع.

ومما يؤكّد ذلك قصة المثل القائل: تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها (122/1)، نجد أنّ الفتاة حين تقدّم إليها الحارث بن سليل الأسَدِي لخطبتها وكان سيد قومه، يحاول الأب إقناع ابنته عن طريق أمها، فيقول لزوجته: "إن الحارث بن سليل سيدُ قومه حَسَبا ومَنْصِباً وبيتا، وقد خطب إلينا الزبَّاء، فلا ينصرفَنَّ إلا بحاجته، فقالت امرأته لابنتها: أيُّ الرجالِ أحبُّ إليك: الكَهْلُ الجَحْجَاح، الواصِلُ المِنَّاح، أم الفتى الوَضَّاح ؟ قالت: لا، بل الفتى الوضاح، قالت: إن الفتى يُغِيرُك، وإن الشيخ يَمِيرُك، وليس الكَهْل الفاضل، الكثيرُ النائِل، كالحديث السنِّ، الكثير المنِّ، قالت: يا أمتاه إن الفَتَاة تحبُّ الفتى كحبِّ الرعاء أنِيقَ الكَلأ، قالت: أي بُنَية إن الفتى شديد الحِجاب، كثير العِتاب، قالت: إن الشيخ يُبْلِي شبابي، ويدنس ثيابي، ويُشْمت بي أترابي، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم" (al-Maydani, n.d., 1: 122 & 123)، فالقصة تدلّ على أنّ الفتاة غلبت على رأيها، ولم يكن زواجها اقتناعًا، بدليل أنها طلقت بعد وقت وجيز من زواجها من ذلك الرجل.

4. امتداح الصفات الإيجابية في المرأة

أظهرت الأمثال احترامًا للمرأة حين تتصف بصفات محددة، كقولهم: تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلاَ تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا (122/1)، والحرّة المرأة العفيفة التي لا تقبل أن تساوم على شرفها مقابل المال، أو غيره من المغريات، حتّى وإن آذاها الجوع أو غير ذلك من محن الأيام، فهي تصبر على ذلك وتحفظ شرفها، وجاء المثل بصيغة التقرير أي: إنّ هذا هو حالها الدائم الذي لا يتغيّر.

وامتدحت المرأة بالحياء، وهو خلق رفيع تزداد به جمالًا إلى جمالها، وهو ما ألحت الأمثال على امتداحه في المرأة، فقد فقيل: أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ، وَمِنْ هَدِيٍّ (218/1)، وهي المرأة تُهْدَى إلى زوجها ليلة عرسها، وقولهم: أحيا من كَعَاب، وهي الفتاة حين يبدأ ثدييها بالظهور: وأحيا من بِكْر، وهي التي لم تتزوج بعد، وأحيا من مُخَبَّأةٍ، وأحيا من مخدّرة، أي: الفتاة في خدرها فلا تخرج منه إلا للزواج (229/1).

وأثنت الأمثال على المرأة المتّصفة بالأنفة وقوة الشخصيّة والعزّة، فقيل: أَعَزُّ مِنَ الزَّبَّاءِ (43/2)، وهي ملكة تدمر كانت تقود الجيوش، وثأرت من جذيمة وخدعته بالزواج حتى تمكّنت منه فقتلته، وقد كان قتل أباها من قبل، وبلغ من عزّتها أنّها شربت السمّ حين تمكّن منها عمرو بن عدي وقالت قولتها المشهورة: بِيَدِي لا بِيَدِ ابنِ عَدِيٍّ (233/1)، فأنهت حياتها بنفسها قبل أن يقتلها عمرو، وضرب المثل بامرأة أخرى اتّصفت بالعزة والأنفة فقيل: أَعَزُّ مِنْ حَلِيمَةَ (245/2) وحليمة هي بنت الحارث بن أبي شمر ملك عرب الشام، وفيها سار المثل فقيل: ما يَوْمُ حليمة بِسِرٍّ (272/2)، وهذا اليوم هو اليوم الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء ملك العراق، وقيل: إنها حضرت المعركة وكانت تحضّ الجند على القتال فكان النصر حليفهم (al-Maydani, n.d., 1: 233-237)

وتوثّق قصة المثل: صَارَتِ الْفِتْيَانُ حُمَمَا (394/1-395) شجاعة الحمراء بنت ضمرة حين خاطبها عمرو بن هند الملك المعروف، فأجابته بكل عزة وأنفة دون خوف منه. وقصتها أنّ بني تميم قتلوا سعد بن هند أخا عمرو بن هند، فنَذَر عمرو ليقتلَنَّ بأخيه مئة من بني تميم، فجمع جنده وسار إليهم، فبلغهم الخبر، فتفرقوا في نواحي بلادهم، فأتى دارهم فلم يجد إلا عجوزاً كبيرة هي الحمراء بنت ضمرة، فلما نظر إليها وإلى حُمْرَتها قال لها: إني لأحْسَبُك أعجمية، فقالت لا، والذي أسأله أن يخفض جَنَاحَك ويهدَّ عِمادك، ويَضَع وِسادك، ويَسْلبك بلادك، ما أنا بأعجمية، قال: فمن أنت؟ قال: أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد معدّاً كابرا عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة، قال: فمن زوجك؟ قالت: هَوْذَة بن جَرْوَل، قال: وأين هو الآن؟ أما تعرفين مكانه؟ قالت: هذه كلمة أحمق، لو كنت أعلم مكانه حال بينك وبيني، قال: وأي رجل هو؟ قالت: هذه أحمق من الأولى، أعَنْ هَوْذة يُسأل ؟هو والله طيب العِرْق، سمين العَرْقِ، لا ينام ليلة يُخَاف، ولا يشبع ليلة يُضَاف، يأكل ما وجَدَ، ولا يَسأل عما فَقَد، فقال: أما والله لولا أني أخاف أن تَلِدِي مثلَ أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك، فقالت: وأنت والله لا تقتل إلا نساءً أعاليها ثُدِيّ، وأسافلها دُمِيّ، والله ما أدركت ثأراً، ولا محَوْت عاراً، وما مَنْ فعلتَ هذه به بغافلٍ عنك، ومع اليوم غد، فأمر بإحراقها فقالت: هيهات! صارت الفتيان حُمَماً.

وأحداث القصة غاية في الشجاعة والأنفة وقوة الشخصيّة، بل إنّ ردها ليعجز عنه الرجال أولو القوة والبأس. فهي وإن كانت امرأة فقد أجابت عمرو بن هند بما يكره سماعه منها، دون أن تلتفت إلى مصيرها، وما سيجلبه لها كلامها من أذى، بل إن الملك أعجب بشخصيتها، وهو ما يشير إليه قوله لها: أما والله لولا أني أخاف أن تَلِدِي مثلَ أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك" (al-Maydani, n.d., 1: 394 & 395)، ولكنه خاف أن ذريتها أن تكون مثل أهلها في العزة والأنفة والشجاعة، فيأخذون ثأرهم منه.

ورأت الأمثال في المرأة قدرة على التكيّف لمواجهة ظروف الحياة الزوجية المختلفة، ودعت المرأة إلى التكيّف معها حرصًا على إدامة الحياة الزوجية، ويبدو أن هذه الدعوة ترتكز على الثقة بقدرة المرأة على التكيف مع ظروف الحياة الزوجية المثالية وغير المثالية. ومن ذلك قولهم: إلاَّ حَظِيَّةً فَلا أَلِيَّةً (20/1)، والحظية المرأة تحظى بحب زوجها واهتمامه، والمثل فيه حضّ للمرأة على مداراة زوجها لإدراك بعض ما تحتاجه. قال أبو عبيد: أصل هذا في المرأة تَصْلَفُ عند زوجها فيقال لها: إن أخطأتْكِ الحُظْوة فلا تألِي أن تتودَّدي إليه، فالحكمة تقتضي التودّد بين الزوجين لجعل استمرارية الحياة بينهما ممكنة.

ب. مضامين سلبية تجاه المرأة في الأمثال

بالنّظر في الأمثال وقصصها، يمكن حصر بعض المضامين السلبية التي اشتملت عليها الأمثال تجاه المرأة: كالتحذير منها، والتشاؤم منها عند ولادتها، والانتقاص منها بوصفها لا تستقر على رأي أو حال، أو عدم قدرتها على فهم طبيعة الأمور، ويبدو أن بعض هذه المضامين السلبية كان منشؤها طبيعة الحياة في العصور القديمة، من نزاعات بين القبائل، إذ كان وجود المرأة يتطلّب حماية وجهدًا، وإذا وقعت أسيرة في أيدي العدو كانت عارًا لقبيلتها، فضلًا عن تفضيلهم للأولاد على البنات لحاجتهم إلى من يدافع عن حياضهم. ويمكن تفصيل هذه المضامين على النحو الآتي،

1. التحذير من المرأة

ورد في الأمثال ما يشير إلى التحذير من المرأة، وقد جاءت صيغة بعض هذه الأمثال تفيد العموم، مما يشي بأنّ هذا يمثّل ثقافة منتشرة بين الناس، فقد حذّرت بعض الأمثال من مشاورة المرأة، ومن ذلك قولهم: مَا أَمْرُ العَذْرَاءِ فِي نَوَى القَوْمِ؟ (2/ 273) وهذا المثل يضرب في الحث على ترك مشاورة النساء في الأمور المهمة للقوم؛ لأنهم يرون أنها غير قادرة على تقدير الأمور على وجهها الصحيح.

ومن صور ذلك التحذير من طاعة المرأة، كقولهم: طَاعَةُ النِّسَاء نَدَامَةٌ (435/1)، أي: إنّ طاعتها تكون سببًا في ندامة من يطيعها، وهو مثل يضرب في التحذير من عواقب طاعة المرأة. ومن صور التحذير من المرأة تصويرها على أنها مصيدة للرجال، ومغوية لهم فحسب، فهي سبب الإغواء، وفي ذلك ورد المثل القائل: النّساء حبائل الشيطان (340/2). ومن صور التحذير من المرأة ذمّهم من ولوا أمرهم لامرأة، فجاء المثل القائل: "أَخْلِفْ بِقَوْمٍ سَادَهُمْ حِقَابٌ" (247/1)، أي: ما أَفْسَدَ أمرَ قومٍ تولّت أمرهم امرأة.

كما صوّرت المرأة أحيانًا على أنها مكمن الدهاء والكيد، فورد قولهم: تَحْسَبُها حَمْقَاءَ وَهْيَ باخِسٌ (123/1، 124)، أي: تبخس الناس حقوقهم، يقال: إن المثل تكلم به رجلٌ من بني العَنْبَر من تميم، جاورته امرأة فنظر إليها فحسبها حمقاء لا تعقل ولا تحفظ ولا تعرف مالها، فقال العنبري: ألا أَخْلِطُ مالي ومَتَاعي بمالها ومتاعها، ثم أقاسمها فآخذ خيرَ متاعها وأعطيها الرديء من متاعي، فقاسمها بعد ما خَلَط متاعه بمتاعها، فلم ترض عند المقاسَمة حتى أَخَذَتْ متاعها، بل وأخذت بعضًا من متاعه كذلك. ومثل هذا قولهم في تصوير دهاء المراة وقوتها: تَفْرَقُ مِنْ صَوْتِ الغُرَابِ وتَفْرِسُ الأَسَدَ المشَنَّمَ أو المشبَّم (135/1) وقصة المثل تبيّن أن امرأة تمكّنت من قتل أسد، ثم سمعت صوت غراب، ففزغت منه، والمقصود إظهار دهائها في الحالين فهي تحتال لكل حال بما يناسبه.

2. التشاؤم من المرأة

صوّرت الأمثال ثقافة المجتمع وموقفه من المرأة أحيانًا من خلال فكرة التشاؤم، والنظر إليها على أنها مصدر الشرور، وجاء ذلك من خلال أسلوبين، الأول: يكون بالإشارة إلى أنّ المرأة عبء ثقيل، وبالتالي فإنّ موتها نعمة لأهلها، ومن هذا ورد قولهم: تَقْدِيمُ الْحُرَمِ مِنَ النَّعَمِ (134/1) يَعْنُون أنّ من ماتت ابنته فقد منح نعمة، وتقديمهن يكون بموتهن لا غير، فالمثل يشير إلى أنّ هذه نعمة، وهذا كقولهم أيضًا: دَفْنُ البنات منَ المَكْرُمَات (134/1). وأمّا الأسلوب الثاني، فبتصويرها بأنها مصدر الشؤم في المجتمع، وقد وردت أمثال كثيرة تشير إلى هذا الفكرة، منها قولهم: أشأمُ مِنْ شَوْلَةَ النَّاصِحَةِ (389/1). يقال: إنها كانت أَمَةً لعَدْوَان رعْناء، وكانت تَنْصَح مواليها فتعودُ نصيحتُها وَبَالا عليهم لحمقها (al-Maydani, n.d., 1: 389 & 390).

ومن ذلك أيضًا، قولهم: أشأَمُ مِن مَنْشِمَ (381/1)، يقال إنها عطارةً كانت تبيع الطيب، فكانوا إذا قَصَدُوا الحربَ غَمَسُوا أيديَهم في طيبها وتحالفوا عليه بأن يستميتوا في تلك الحرب ولا يُوَلُّوا أو يُقْتَلُوا، فكانوا إذا دخلوا الحربَ بطيب تلك المرأة يقول الناس: قد دَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمَ، فلما كثر منهم هذا القول سار مثلا، ومن تلك الأمثال أيضًا قولهم: أَشْأَمُ مِنْ رَغَيفِ اَلْحَوْلاءِ (382/1). قالوا: إنها كانت خَبَّازة في بني سَعْد بن زيد مَنَاة بن تميم، فمرت بخبزها على رأسها، فتناول رجل منهم من رأسها رغيفاً، فقالت له: والله ما لك على حق، ولا اسْتَطْعَمْتَنِي، فَبِمَ أَخَذْتَ رغيفي؟ أما إنك ما أردت بما فعلتَ إلا أَبْسَ فلان، رجلٍ كانت في جواره، أي: إهانة الرجل الذي كانت في جواره وتحقيره، فثار القوم، فقُتِل بينهم ألف إنسان. وقولهم، أيضًا: أَشْأَمُ مِنَ البَسُوسِ (374/1)، وهي بَسُوس بنت منقذ التميمية خالَةُ جَسَّاس بن مُرَّة بن ذُهْل الشيباني قاتل كليب، إذ نظر إليها على أنها من أسباب الحرب الي دارت بين بكر وتغلب واستمرت أربعين سنة.

ومن صور التشاؤم من المرأة تصويرها بالدهاء والمكر، وانها مصدر الشقاء، كما في قولهم: بَعْدَ اَلَّلتَيَّا وَالَّتِي (92/1)، وهما الداهية الكبيرة والصغيرة، وكَنَى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيهاً بالحيَّة، فإنها إذا كثر سمها صغرت لأن السم يأكل جَسَدها، وقيل: الأصل فيه أن رجلاً من جَدِيس تزوج امرأة قصيرة، فقاسى منها الشدائد، وكان يعبر عنها بالتصغير، فتزوج امرأة طويلة، فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة، فطلقها، وقال: بعد اللَّتَيَّا والَّتِي لا أتزوج أبدا.

إنّ هذه النظرة السلبية نحو المرأة في بعض الأمثال وقصصها، تدلّ على أنّ هذه الفكرة كانت موجودة ومتداولة بين الناس، ولا يمكن إنكارها، ولكنها بطبيعة الحال لا تعبّر عن رأي أغلبية المجتمع، بدليل وجود كثير من الأمثال عبّرت عن احترام المرأة وتقديرها، وهو ما تقدمت الإشارة إليه سابقًا في ثنايا هذا البحث.

3. سرعة التغير وعدم الاستقرار على حال

صوّرت الأمثال المرأة على أنها سريعة التغيّر، ولا تستوي على حال واحدة، وهي صورة سلبيّة تنتقص من قدرة المرأة، وقوة شخصيتها، فجاء قولهم: سَوَّاءٌ لَوَّاءٌ (338/1) والمثل يضرب للنساء، أي: هن يستوين ويلتوين ويجتمعن ويتفرقن، ولا يثبتن على حال واحدة. وبسبب هذا التغير فقد عبّرت الأمثال عن صعوبة إرضاء المرأة أحيانًا، كما ورد في المثل القائل: تَسْأَلُنِي أُمُّ الْخِيَارِ جَمَلاً يَمْشِي رُوَيْداً وَيَكُونُ أَوَّلاً (141/1)، فهذا المثل يضرب في طَلَب ما يتعذر تحقيقه، ويقصد به بيان ما تتّصف به

المرأة من تناقض أحيانًا، وصعوبة في إرضائها. ومن هذا قولهم أيضًا: تَجْمَعِيَن خِلاَبَةً وَصُدُوداً (142/1)، ويضرب لمن يجمع بين خَصْلَتَيْ شَرٍّ. واجتماع هاتين الخصلتين في آن واحد يدلّ على عدم استواء شخصيتها على حال.

4. عدم القدرة على الفهم والحمق

تشير بعض الأمثال إلى ضعف لدى المرأة في الفهم، فتدعو إلى تكرار الحديث لها حتى تفهم، كقولهم: حَدِّثْ حَدِيثَيْنِ امْرَأَةً، فَإِنْ لَمْ تَفْهَمْ فَأَرْبَعَةً (192/1)، وأراد بالحديثين حديثاً واحداً تكرره مرتين، فكأنك حدثتها بحديثين، والمعنى كرر لها الحديثَ؛ لأنها أضعفُ فَهْما، فإن لم تَفْهم فاجعلهما أربعةً، وقال أبو سعيد: فإن لم تَفْهم بعد الأربعة فالمربعة، يعني العصا. ومن هذا المنطلق فقد ورد في الأمثال ما يشير إلى الحطّ من منزلة من يولي أمره للمرأة، فجاء قولهم: أَخْلِفْ بِقَوْمٍ سَادَهُمْ حِقَابٌ (247/1)، يقال: خَلَف الشيء يَخْلُف خُلُوفا، إذا فسد وتغير، ومنه خلُوف فَمِ الصائم، والْحِقَاب: شيء محلَّى تلبسه المرأة، وأراد ذات حقاب، يعني امرأة، وتقديره ما أَفْسَدَ أمرَ قومٍ ملكتهم امرأة.

ووردت أمثال كثيرة صوّرت حماقة بعض النساء حتى ضرب المثل بهنّ، فقيل: أَحْمَقُ مِنْ جَهِيزَةَ. (218/1)، قال ابن السِّكِّيت: هي أم شبيب الحَرُورى. ومن حمقها أنها لما حملت شَبيبا فأثقلت قالت لأحمائها: إن في بطني شيئاً ينقر، فنشرن عنها هذه الكلمة، فحمقت. وقيل: إنها قعدت في مسجد الكوفة تَبُول، فلذلك حمقت. ومن ذلك قولهم: أَحْمَقُ مِنَ الْمَمْهُورَةِ مِنْ مَالِ أَبِيهَا (219/1)، قال أبو عبيد: أصلُه أن رجلا أعطى رجلا مالا فتزوج به ابنة المُعْطِي، ثم إن الزوج امتنَّ عليها بما مهرها. ومثله قولهم: أَحْمَقُ مِنَ الْمَمْهُورَةِ إِحْدَى خَدَمَتَيْهَا (219/1). قال أبو عبيد: أصله أن رجلا كانت له امرأة حمقاء، فطلبت مهرها منه، فنزع خَلْخَالها ودفعه إليها، فرضيت به. وقولهم: أَحْمَقُ مِنْ دُغَة. (219/1)، وهي مارية بنت معنج، قال حمزة: هي بنت منعج، ويحكى عن المفضل بن سلمة أن اسم الرجل كما ذكرته قبل. ومن حمقها أنها زُوِّجت وهي صغيرة في بني العنبر بن تميم، فحملت، فلما ضَرَبها المِخَاضُ ظنت أنها تريد الْخَلاَء.

ثالثًا: ظواهر اجتماعية تخص المرأة في الأمثال

تضمنت الأمثال إشارات واضحة إلى بعض الظواهر المجتمعيّة التي تخصّ المرأة، ويمكن حصر هذه الظواهر بما يلي،

أ. الإماء

وثّقت الأمثال القديمة وجود طبقة في المجتمع، تعرف بالإماء، وهنّ الفتيات المملوكات، اللواتي كن يعملن في خدمة الحرائر من النساء أو أسيادهن، وقد كثرت الإماء في المجتمع العربي القديم، ولعلّ من أبرز ما وثّقته الأمثال بالنسبة لهذه الظاهرة ،النظرة السلبيّة التي نظر بها إلى هذه الفئة أحيانًا، وهو ما عبّروا عنه في بعض الأمثال، كقولهم: عَبْدٌ صَرِيخُهُ أَمَةٌ (5/2)، يضرب في

استعانة الذليل بآخَرَ مثلِهِ. فالعبد يستعين بمن هو أدنى منه، وهي الأمة. وضرب المثل بذلها، فقيل: أَخْيَلُ مِنْ مُذَالَة (260/1)، يَعْنُون الأمة، لأنها تُهَان وهي تتبختر؛ لأنها ليس لها حيلة في الدفاع عن نفسها. ولذلّهن قالوا فيهن: لاَ تُفْشِ سِرَّكَ إلى أَمَةٍ، ولاَ تَبُلْ عَلَى أَكَمَةٍ (215/2)، وهذا من قول أَكْثَمَ بن صَيْفي، وإنما قَرَنَ بينهما لأنهما ليسا بمحل لما يودَعَانِ، أي لا تجعل الأمة لسرك محلا، كما لا تجعل الأكمة لبولك موضعا، ومثله قولهم: مِنْ قَرِيبٍ يُشْبِهُ العَبْدُ الأَمَةَ (274/2)، أي لاَ يكون بينها كثيرُ فرقٍ، يضرب في المتَقَارِبَيْنِ في الشَّبَه.

وصوّرت الأمثال كثرة الأعمال التي كانت تطلب منهنّ، فقالوا: أَمَامَها تَلْقَى أَمَةٌ عَمَلَها(20/1)، أي أنّ الأمَة أيْنَمَا توجهت لقيت عملا. وهو ما تشير إليه قصة المثل القائل: إنَّ وَرَاءَ الأَكَمةِ مَا وَرَاءَهَا (13/1)، وقصة هذا المثل أنّ أَمَةً واعدت صديقها أن تأتيه وراء الأكمة، إذا فرغَت من مهنة أهلها ليلا، فشغلوها عن الإنجاز بما يأمرونها من العمل، فقالت حين غلبها الشوقُ: حبستموني وإن وراء الأَكَمَة ما وراءها، ومن تلك الأمثال أيضًا، قولهم: ضَرَبَهُ ضَرْبَةُ ابْنَة اقْعُدى وَقُومِي (422/1)، أي ضربةَ مَنْ يُقال لها اقعدي وقومي، يعني ضربة أَمَةٍ، لقيامها وقعودها في خدمة مَوَاليها. ومن الأعمال التي مارستها الإماء: الغناء، وهو ما أشار إليه البحث سابقًا في المثل القائل: تَرَكْتُهُ تُغَنِّيهِ الْجَرَادَتَانِ. (131/1).

وكانت الإماء يعملن فيما لا ترضاه الحرائر، وهو ما أشار إليه المثل القائل: بَطْنِي عَطِّرِي وَسَائِرِي ذَرِي (99/1)، قاله رجل جائع نزل بقوم فأمروا الجاريةَ بتطييبه، فقال هذا القول. وهو أيضا ما يستخلص من قصة المثل القائل: مِنْ مَالِ جَعْدٍ وَجَعْدٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ (308/2)، وأولُ من قَالَه جَعْدُ بن الحُصين الخُضْري أبو صخر بن جَعْد الشاعر، وكان قد أسَنَّ، فتفرق عنه بنوه وأهلُه، وبقيت له جارية سَوْدَاء تَخْدمه، فعشقت فتىً في الحي يُقَال له عَرَابة، فجعلت تنقُلُ إليه ما في بيت جَعْد، ففَطِنَ لها جعد، فَقَالَ،

أَمْسَى عَرَابةُ ذَا مَالٍ يُسِرُّ بِهِ مِنْ مال جَعْدٍ وَجَعْد غَيْرُ مَحْمُودِ (al-Maydani, n.d., 1: 308)

ويشير هذا المثل أيضًا إلى سوء أمانة الأمَة أيضًا.

ب. تعدّد الزوجات

تسجّل الأمثال تسجيلًا واضحًا ظاهرة تعدّد الزوجات في المجتمعات العربية القديمة، كما تسجّل ما كان يحدث بينهنّ من مشاحنات، حتّى شُبّهت كل مشاحنة تحدث بين الناس بما يحدث بين الضرائر من تشاحن واختلاف، كقولهم: بَيْنَهُمْ دَاءُ الضَّرائِر (93/1)، هي جمع ضَرَّة، يضرب للعداوة إذا رَسَخت بين قوم، لأن العصبية بين الضرائر قائمة لا تكاد تسكن.

وتوثّق قصة المثل القائل: بَخٍ بَخٍ سَاقٌ بِخَلْخَالٍ (110/1) ما كان يحدث بين الضرائر من شجار، فقد كانت الوِرْثَةُ بنت ثَعْلَبَة امرأة ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة، وكانت لا تترك ضرة لها إلا وضربتها، فلمّا تزوج زوجها رقاش بنت عمرو حدث أن خرجت رقاش يومًا من مخدعها، وهي تلبس خلخالًا في ساقها، فقالت الوِرْثَة: بخ بخ ساق بخلخال، فذهبت مثلا، فقالت رقاش: أَجَلْ ساقٌ بِخَلْخَال، لا كخالك المِخْتَال، فوثبت عليها الوِرْثَةُ لتضربها، فضبَطَتْها رقاشٍ وضربتها وغلبتها، حتى حُجِزَتْ عنها (al-Maydani, n.d., 1: 110).

ومن ذلك أيضًا، قولهم: أَبْدَئِيهِنَّ بِعفَالِ سُبِيتِ (102/1)، أي ابدئيهن بقولك "عفال" قال المفضَّل: سبب هذا المثل أن سَعْد بن زَيْد مَنَاة كان تزوج رُهْمَ بنت الخزرج ، وكانت من أجمل النساء، فولدت له مالك بن سعد، وكانت ضرائرها إذا سابَبْنَهَا يقلن لها: يا عَفْلاء، فقالت لها أمها: إذا سابَبْنَكِ فابدئيهن بعَفَال سُبيتِ، فأرسلتها مثلا، فسابتها بعد ذلك امرأة من ضرائرها، فقالت لها رُهْم: يا عَفْلاَء، فقالت ضرتها: رمَتْنِي بدائها وانْسَلَّتْ (286/1).

وقد تصل العداوة بين الضرائر مرحلة تصل إلى حدّ التخلص من الضرّة، بأن تبدأ كل واحدة بالإعداد لذلك، وهو ما أشارت إليه قصة المثل القائل: تَحْمِل عِضَةٌ جَنَاهَا(136/1)، وأصل ذلك أن رجلا كانت له امرأة، وكانت لها ضَرَّة، فعمدت الضرة إلى قَدَحَيْن مشتبهين، فجعلت في أحدهما سَوِيقا، وفي الآخر سُما، ووضعت قَدَحَ السويق عند رأسها، والقدحَ المسمومَ عند رأس ضرتها؛ لتشربه، ففطنت الضرة لذلك، فلما نامت حَوَّلت القدحَ المسمومَ إليها، ورفعت قدحَ السويق إلى نفسها، فلما انتبهت أخذت قدحَ السم على أنه السويق، فشربته، فماتت، فقيل: تحمل عِضَة جَنَاها ، أي: كل شجرة تحمل ثمرتها، وهذا مثل قولهم "مَنْ حَفَرَ مَهْوَاةً وَقع فيها" (al-Maydani, n.d., 1: 136)، وتظهر الأمثال أنّ علاقة الزوج بزوجاته لم تكن على درجة واحدة من المساواة والعدل، وهو ما يشير إليه المثل القائل: القَوْلُ مَا قَالتْ حِذَامِ (106/2)، أي القولُ السديدُ المعتدُّ به، ما قَالته هي لا ما قالته ضرائرها. وتدلّ هذه الأمثال في مجموعها على أنّ ظاهرة تعدّد الزوجات في المجتمع العربي، لم يحكمها نظام محدّد (al-Tabari, n.d., 4: 232-235)، كما أن طبيعة العلاقات بين الضرائر تتسم بالمنافسة والعداء إلى حدّ الإيذاء. كما أنّ الأمهات كنّ يتدخلن لتوجيه الفتاة إلى كيفية التعامل مع ضرائرها.

ج. الحماة وكنّتها

توثّق الأمثال لظاهرة سوء العلاقة بين الحماة (والدة الزوج) وزوجة ابنها (كنّتها)، وهي علاقة اتسمت بالتشاحن والبغضاء والتنافس في أحيان كثيرة وحتى يومنا هذا، فجاء في المثل: إنَّ الْحَمَاةَ أُولِعَتْ بالْكَنَّهْ ... وَأُولِعَتْ كَنَّتُهَا بالظِنَّهْ (14/1)، يضرب المثل في وصف العداوة التي تنشب بين من اعتادوا على الاختلاف والتقاتل. لأن الحماة تنظر إلى كنتها بعين الشك والظّن والاتهام وعدم الرضا؛ لأنها تشاركها في ابنها الذي طالما كان تحت سيطرتها وحكمها، فإذا به ينصرف إلى زوجته. فيكون ذلك سببًا في توتّر العلاقة بين الأم وكنّتها، وخاصة إذا لم تتفهّم الكنة مشاعر الأمّ، ولم تحاول مراعاتها. والمثل كما هو واضح يشير إلى أنّ المجتمع كان يعاني من هذه الظاهرة، وهو ما يؤدي أحيانًا إلى حدوث الطلاق بين الأزواج، لأن بعض الأزواج لا يحتمل تبعات هذا الصراع بين زوجته من جانب، وأمه من جانب آخر، فيهرب من ذلك بالتخلص من الزوجة. وعلى النقيض من ذلك، يلحظ أنّ الحماة تحبُّ زوج ابنتها؛ لأنّ زوج الابنة بمرور الزمن يغدو فردًا من الأسرة، وتتوطد علاقته بأسرة زوجته، مما يجعل الحماة تنظر إليه على أنه امتداد لأسرتها.

د. السبي والوأد

السبي والسباء هو أخذ النساء عبيدًا ورهائن، والسبيّة: المراة المأسورة (Ibn Manzur, 1994)، وقد مارس العرب هذا النوع من الأسر فيما بينهم، فكان المنتصر إن تمكّن من خصمه سبى ما استطاع من النساء (Afifi, 1932, 1: 40') ، وهو ما وثّقته الأمثال العربية في قصصها، ومن ذلك قولهم: رَكِبَتْ عَنْزُ بِحِدْجٍ جَمَلاَ. (1/04-3)، وعَنْز: امرأة من طَسْم سُبِيَتْ فحملت في هَوْدج، يهزؤن بها، وهي التي قالت أيضًا: شَرُّ يومَيْهَا وَأَغْوَاهُ لهَا. (1/359) تقصد أنّ: شَرُّ أيامها حين صارت سبيّة.

وتوثّق قصة المثل القائل: رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً (1/294)، حسن معاملة المرأة السبية، فقد وقعت زوجة سنان بن عوف سبيّة، مع أنّ اخاها مالكًا حذّره من الخروج بها؛ خوفًا من ذلك، فلم يسمع لقوله. وقال له: أين تظعن يا أخي؟ قال: أطلب موقع هذه السحابة، قال: لا تفعل، فإنه ربما خَيَّلَتْ، وليس فيها قَطْر، وأنا أخاف عليك بعضَ مقانب العرب، قال: لكني لست أخاف ذلك، فمضى، وَعَرَضَ له مروان القرظ بن زِنْبَاع بن حُذَيفة العَبْسي، فأسر زوجته، وانطلق بها وجعلها بين بناته وأخواته، ولم يكشف لها سِتْراً، فقال مالك بن عوف لسنان: ما فعلَتْ أختي؟ قال: نفتني عنها الرماح، فقال مالك: رُبَّ عجلة تهبُ رَيْثاً، ورب فَرُوقَة يُدْعَى لَيْثاً، ورب غَيْثٍ لم يكن غَيْثاً، فأرسلها مثلا.

كما وثّقت الأمثال أيضًا أنّ المرأة السبيّة قد تختار سابيها، فتتزوّج منه، وهو ما تشير إليه قصة المثل القائل: تَرَى الفِتْيَانَ كالنَّخْلِ ومَا يدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ (1/137)، فقد اختارت عَثْمَة بنت مَطْرودٍ البُجَيْلِيَّة أن تتزوّج من شاب أسود يكنى أبا نُوَاس، بعد أن رأت جبن زوجها الذي تركها فريسة للأسر، حيث قال لها الشاب الأسود: أَتَرْضَيْنَ بي على أن أمنعك من ذئاب العرب، فقالت لأصحابه: أكذلك هو؟ قالوا: نعم إنه مع ما تَرَيْنَ لَيَمْنَعُ الحَلِيلة، وتَتَّقِيه القبيلة، قالت: هذا أجمل جمال، وأكمل كمال، قد رضيت به، فزوجوها منه (al-Maydani, n.d., 1: 137).

وأشارت الأمثال إلى ظاهرة الوأد، وهي دفن البنات وهن أحياء، فجاء المثل القائل:أَضَلُّ مِنْ مَؤْوُدَة" (1/424) ويبدو أن الوأد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبة، ولكنه لم يكن ممارسًا عندهم جميعًا، فكان يمارسه واحد، ويتركه عشرة، فجاء الإسلام وقد قلَّ ذلك فيها، إلا من بني تميم، فإنه تزايد فيهم ذلك قبل الإسلام، وكان السبب في ذلك أنهم منعوا الملك النعمان ضَرِيبته، وهي الإتاوة التي كانت عليهم، فجرَّدَ إليهم النعمانُ أخاه الريان مع دَوْسَر، ودوسر :إحدى كتائبه، فكانوا يئدون بناتهم خوفًا من وقوعهن في أيدي عدوهم (al-Maydani, n.d., 1: 424).

هـ. مخالفة الأعراف

يعدّ الزنا إحد الأفعال التي لم يقبلها المجتمع العربي، ومع ذلك فإنّ المجتمعات لا يمكن أن تكون على درجة واحدة من الالتزام بالأعراف والقيود الاجتماعية، ولهذا نجد أن الأمثال وقصصها قد وثّقت بعض ما يشير إلى هذه الظاهرة في المجتمع العربي في ذلك الوقت. ومن ذلك: قولهم: جَعَلَتْ مَا بِهَا بِيَ وَانْطَلَقَتْ تَلْمِزُ (1/164)، أصله أن رجلا أَشْرَفَ على سَوْأة من امرأة، فوقع بها وعابها، فقالت: إنما عِبْتَني بما صنعت وأنت أولى به مني، ثم انصرفَتْ عنه، فقال الرجل: جعلت ما بها بي وانطلقت تلمز. ويلحظ أنّ المثل أغفل اسم المرأة والرجل.

ومن ذلك أيضًا، قولهم: خَيْرٌ قَلِيلٌ وَفَضَحْتُ نَفْسِي (241/1)، قالوا: إن أول من قال ذلك فاقرة امرأة مُرَّة الأسدي، وكانت من أجمل النساء في زمانها، وإن زوجها غاب عنها أعواماً فهوِيَتْ عبداً لها حامياً كان يَرْعَى ماشِيَتَهَا، وقد ترددت في أول الامر ثم مكنته من نفسها، فلم عاد زوجها علم بذلك، فشهقت شهقة وماتت، ثم قام الزوج إلى العبد فقتله. ويلحظ في هذا المثل أنّ فاقرة كانت مترددة لا تقبل هذا الفعل، إلى أن غلبتها نفسها، كما أنّ المثل أشار إلى اسم المراة، وزوجها، ويبدو أنّ موت المرأة، وقتل الزوج للعبد كان سببا في الإفصاح عن الأسماء هنا، فقد ثأر الرجل لشرفه.

وتظهر بعض الأمثال دهاء المراة في الإفلات من العقاب، كما في قولهم: أظُنُّ ماءَكُمْ هَذَا ماءَ عِنَاقٍ (443/1)، قالوا: كان من حديثه أن رجلا بينا هو يَسْتَقِي وبيتُه تِلْقَاء وجهه، فنظر فإذا هو برجل مُعَانق امرأته يُقَبلها، فأخذ العَصَا وأقبل مُسْرعاً لا يشكُّ فيما رأى، فلما رأته امرأتُه جعلت الرجلَ في خالفه البيت، وتمكنت من خداع زوجها وتشكيكه فيما رأى، بل بلغ من مكرها أنها اصطنعت حيلة لتشعره بأنّ ما رآه مجرد أوهام، واتهمته بأنه كان يعانق امراة في البيت. فقال: إن تكوني صادقة فإن ماءكم هذا ماء عناق. ولم يشر في المثل إلى اسم أيٍ من الزوج أو الزوجة.

وفي بعض الأمثال يلحظ أنّ المرأة تمارس الفعل دون اهتمام لوجود أهل بيتها، كما في المثل القائل: قَدْ قَلَيْنَا صَفِيرَكُمْ (98/2)، وأصله أن رجلاً كان يعتاد امرَأة؛ فكان يجيء وهى جالسةٌ مع بنيها وزوجها فيصفر لها، فتُخرج عجزها من وراء البيت، وهي تُحْدِثُ ولَدَها، فيقضى الرجلُ حاجته وينصرف، فعلم ذلك بعضُ بنيها، فغاب عنها يومَه، ثم جاء في ذلك الوقت، فَصَفَر ومعه مِسْمَار مُحْمىً، فلما أن فعلت كعادتها، كَوَاها به، فَجاء خِلُّها بعد ذلك فصفر فَقَالت: قد قلينا صفيركم. وفي قصة المثل القائل: سِرْ عَنْكَ (340/1)، إذ تصوّر قصة المثل علاقة بين امرأة متزوجة وعشيق لها، وقعت في حبه بعد غياب زوجها. وتشير قصة المثل إلى الجزاء الذي لقيته المرأة وعشيقها من زوجها بعد افتضاح أمرها. وفي تقديري أن الأمثال كانت واقعية في تسجيل مثل هذه الممارسات، فالمجتمعات لا تخلو من ذلك في كل زمان ومكان.

الخلاصة

تعدُّ الأمثال من الفنون الأدبية الشعبيّة المهمّة التي تداولها الناس في المجتمع العربي القديم، ولهذا حُفظت ودوّنت في كثير من الكتب، كان أوسعها كتاب مجمع الأمثال للميداني، ولعلّ من أهم ما يميز الأمثال أنها قيلت على ألسنة الناس من جميع فئات المجتمع، ثمّ تناقلها الناس فيما بينهم، فهي بالضرورة تعبّر عن ثقافة المجتمع، وتحتفظ بكثير من الظواهر المجتمعية التي سادت وانتشرت بين الناس؛ لأنها تروى في الغالب كما قيلت.

وبيّن البحث أنّ المرأة في الأمثال نالت مساحة واسعة وثّقت تفاصيل مهمّة عنها في ذلك الوقت، من حيث أوجه نشاطها وعملها، حيث أظهر البحث أنّ المراة لم تكن حبيسة بيتها، بل شاركت في مجمل الأعمال التي كانت سائدة في بيئتها. وتتبّع البحث موقف المجتمع من المرأة، فكشف أنّ هذا الموقف لم يكن إيجابيًا صرفًا أو سلبيا صرفًا، ولكنه توزّع بين هذين الاتجاهين، إذ تتوافر الشواهد المثليّة التي تشير إلى كلا الموقفين، مما يؤكّد الفكرة القائلة: إنّ المرأة نالت وعانت، ولكن الموقف العام للمجتمع القديم كان يكنّ لها الاحترام والتقدير والعناية.

فمن المواقف الإيجابية التي تستخلص من مضامين الأمثال التي تم حصرها: الدعوة لاحترام المرأة وتقديرها، والنظر إليها على أنها جزء مهم من المجتمع مساوٍ للرجل. والدعوة للاستماع لرأيها، والاستفادة من خبرتها، بل إنّ بعض الأمثال

خلّدت ذكر بعض من عرفن بالحكمة من النساء، كزرقاء اليمامة، والزبّاء، وأظهرت قصص بعض الأمثال تمتّع المرأة بمساحة من الحرية في اختيار الزوج، وبعضهن كن يعبرن عن تفضيلهنّ لصفات محددة في الزوج، وقد تعرض المرأة الزواج على من ترى فيه أهلا للزواج بها. وأثنت الأمثال على المرأة حين تتصف بصفات: كالعفة، والحياء، والأنفة والعزة، وقوة الشخصيّة، والشجاعة، والقدرة على التكيف مع ظروف الحياة الزوجية المختلفة.

ومن المضامين السلبية التي اشتملت عليها بعض الأمثال: التحذير من مشاورتها والأخذ برأيها، أو طاعتها، والتشاؤم منها، بل أشارت بعض الامثال إلى أن موت المرأة نعمة لأهلها، فيما رأت فيها بعض الامثال مكمن الدهاء والكيد، وانتقصت منها، بوصفها لا تستقر على رأي أو حال، أو عدم قدرتها على فهم طبيعة الأمور.

وأشار البحث إلى مجموعة من الظواهر المجتمعية الخاصة بالمرأة وثقتها الأمثال، كالسبي، وتعدد الزوجات والإماء، والعلاقة بين الحماة وكنتها. وهذه الظواهر تظهر بلا شك صورًا من معاناة المرأة في المجتمع في ذلك الوقت.

ويبدو أن عينة الأمثال المستخلصة التي تخص المرأة، شكلت صورة نسبية للمرأة في المجمتع، تتراوح بين الإيجابية حينًا، وبين السلبية أحيانًا أخرى، وكانت واقعية في تسجيل هذه الصورة إلى حدٍ كبير.

المصادر والمراجع

‘Abd al-Din, Mahmud. (2011). al-Qadaya al-Nahwiyyah wa al-Sarfiyyah fi al-Amthal al-‘Arabiyyah al-Qadimah. Unpublished Ph.D. Thesis, Jami‘at al-‘Ulum al-Islamiyyah al-‘Alamiyyah.

‘Afifi, ‘Abd Allah. (1932). *al-Mar’ah al-‘Arabiyyah fi Jahiliyyatiha wa Islamiha.* 2nd imprint. al-Su‘udiyyah: Maktabat al-Thaqafah.

‘Alaf, Du‘a’ Bayt Rida Sarraj. (2009). *Surat al-Mar’ah fi al-Amthal al-‘Arabiyyah al-Qadimah hatta Nihayat al-Qarn al-Khamis al-Hijri: Dirasat Tahliliyyah*. al-Su‘udiyyah: Jami‘at al-Malik ‘Abd al-‘Aziz.

al-‘Aqqad, ‘Abbas Mahmud. (2005). *Haqa’iq al-Islam wa Abatil Khusumah*. 4th imprint. al-Qahirah: Nahdah.

al-Afghani, Sa‘id. (1970). *al-Islam wa al-Mar’ah*. 3rd imprint. Dimashq: Dar al-Fikr.

al-Asad, Nasir al-Din. (1969). *al-Qiyan wa al-Ghina’ fi al-‘Asr al-Jahili*. 2nd imprint. Misr: Dar al-Ma‘arif.

al-Asfahani, Abu al-Faraj ‘Ali ibn al-Husayn ibn Muhammas. (2008). *al-Aghani*. ‘Abbas, Ihsan et al. (eds.). 3rd imprint. Bayrut: Dar al-Sadir.

Dayf, Shawqi. (1965). *al-Fann wa Madhahibih fi al-Nathr al-‘Arabi*. 5th imprint. al-Qahirah: Dar al-Ma‘arif.

Dizirih, Saqqal. (1995). *al-‘Arab fi al-‘Asr al-Jahili*. Bayrut: Dar al-Sadaqah.

al-Hufi, Ahmad. (1963). *al-Mar’ah fi Shi‘r al-Jahili*. 2nd imprint. al-Qahirah: Dar al-Fikr al-‘Arabi.

Ibn ‘Abd Rabbih, Abu ‘Umar Ahmad ibn Muhammad. (1971). *al-‘Iqd al-Farid*. al-Tarhini, ‘Abd al-Majid (ed.). Bayrut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Ibn al-Athir, ‘Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad. (1997). *al-Kamil fi al-Tarikh*. ‘Abd al-Salam, ‘Umar (ed.). Bayrut: Dar al-Kitab al-‘Arabi.

Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad ibn Mukarram. (1994). *Lisan al-‘Arab*. 3rd imprint. Bayrut: Dar al-Sadir.

Imru’ al-Qays, Junduh ibn Hujr ibn al-Harith. (1984). *Diwan Imru’ al-Qays.* Abu al-Fadl, Muhammad (ed.). 3rd imprint. al-Qahirah: Dar al-Ma‘arif.

al-Khatib al-Tabrizi, Abu Zakariyya Yahya ibn ‘Ali ibn Muhammad al-Shaybani. (1992). *Sharh Diwan ‘Antarah*. Tarad, Majid (ed.). Bayrut: Dar al-Kitab al-‘Arabi.

al-Khudari, Muhammad. (1354H). *Muhadarat Tarikh al-Ummah al-Islamiyyah*. 4th imprint. al-Qahirah: Matba‘at al-Istiqamah.

Mawlawi, Muhammad Sa‘id. (1970). *Diwan ‘Antarah: Tahqiq wa Dirasat*. Bayrut: al-Maktab al-Islami.

al-Maydani, Abu al-Fadl Ahmad ibn Muhammad. (n.d.). *Majma‘ al-Amthal*. Muhy al-Din, Muhammad (ed.). Bayrut: Dar al-Nasr.

Nicholson, Reynold. (1966). *Aliterary History of the Arabs*. London: Cambridge.

Sellheim, Rudolf. (1971). *al-Amthal al-‘Arabiyyah al-Qadimah*. ‘Abd al-Tawwab, Ramadan (trans.). Bayrut: Dar al-Amanah.

al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (n.d.). *Jami‘ al-Bayan ‘an Ta’wil al-Qur’an*. Bayrut: Dar al-Fikr.

al-Zamakhshari, Mahmud ibn ‘Umar. (1962). *al-Mustaqsa fi Amthal al-‘Arab*. Hayderabad: Dar al-Ma‘arif al-‘Uthmaniyyah.

Zaydan, Jurji. (2012). *Tarikh al-Adab al-‘Arabiyyah*. Misr: Mu’assasat Hindawi.